

شبكات التواصل الاجتماعي وتحولات العلاقات القربانية - من الحضور الواقعي إلى التفاعل الافتراضي -

Social Media Networks and the Transformation of Kinship Relations : From Physical Presence to Virtual Interaction

د. عماد بوروح¹، د. حنان بعجي²

¹المركز الجامعي بريكّة، imad.bourouh@cu-barika.dz

²جامعة محمد بوضياف المسيلة، hanane.baadjji@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2025/05/22 تاريخ القبول: 2025/12/13 تاريخ النشر: 2026/06/29

ملخص:

تشهد المجتمعات المعاصرة تحولات عميقة مست جميع الجوانب ومن صور هذا التحول انتشار شبكات التواصل الاجتماعي التي أحدثت تغيرات جوهرية في أساليب التفاعل والتواصل، وفي ظل هذا المعطى الجديد أضحت العلاقات التقليدية متأثرة بشكل كبير سواء من ناحية الشكل او المضمون، وتعد العلاقات القربانية القائمة على روابط الدم والمصاهرة أحد اهم مكونات النسيج الاجتماعي التي من خلالها يحافظ الأفراد والجماعات على استقرار وتوازن البناء الاجتماعي ومثانة الرابط الاجتماعي، وتتأسس هذه العلاقات على التفاعل والتواصل المباشر بين الأسر والعائلات، القرب الجسدي والعاطفي، اللقاءات اليومية والمناسباتية، التكافل والتضامن الاجتماعي، إلا أن ظهور هذه الشبكات الافتراضية أتاحت فرصا جديدة للتفاعل والتواصل بين الأفراد تفاعل يتم عبر الوسائط الرقمية قد تؤثر في طبيعة العلاقات القربانية في بعدها الواقعي، وضمن هذا الطرح تهدف هذه الورقة البحثية في سياقاتها النظرية للبحث في مآلات التحول وفي أنماط التفاعل - من الحضور الواقعي الى التفاعل الافتراضي - من خلال رؤية تحليلية لانعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات القربانية.

كلمات مفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي، التحول، العلاقات القربانية، التفاعل، الهشاشة.

Abstract:

Contemporary societies are undergoing profound transformations that affect all aspects of life. One manifestation of this change is the widespread

diffusion of social media networks, which have brought about fundamental shifts in patterns of interaction and communication. In light of this new reality, traditional relationships have been significantly impacted, both in form and content, Kinship relations based on blood ties and marriage constitute one of the most essential components of the social fabric, through which individuals and groups maintain social stability, structural balance, and the strength of social bonds. These relationships are traditionally grounded in direct interaction and communication among families, physical and emotional proximity, daily and ceremonial gatherings, mutual support, and social solidarity, among other forms of connection. However, the emergence of virtual networks has created new opportunities for interaction and communication among individuals. Interactions that occur via digital media and may alter the nature of kinship relations in their real-life dimension. In this context, the present research paper aims, through a theoretical framework, to examine the trajectories of this transformation and the emerging modes of interaction, shifting from physical presence to virtual engagement by providing an analytical perspective on the impact of social media networks on kinship relations.

Keywords: Social media networks; transformation; kinship relations; interaction; fragility.

المؤلف المرسل: د. عماد بوروح، الإيميل: imad.bourouh@cu-barika.dz

1. مقدمة

تعيش المجتمعات المعاصرة مجموعة من التطورات والتحولات العميقة خاصة ما تعلق منها بالجانب التكنولوجي والرقمي الذي أعاد تشكيل الحياة الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي ككل، ومن مظاهر هذا التحول انتشار شبكات التواصل الاجتماعي التي أثرت على عمليات التفاعل والتواصل بين الأفراد وأعادت تشكيل وتنظيم البنى الاجتماعية بما في ذلك النسق القرابي والعلاقات القرابية، التي تستند بالدرجة الأولى على اللقاءات المباشرة والتفاعل اللحظي والتقارب الفيزيقي، أين أصبحت تُنتج وتُستج ضمن

فضاءات افتراضية مفتوحة وعبر وسائط رقمية، متجاوزة بذلك الحدود المكانية والزمانية وتؤسس لأنماط جديدة من العلاقات القرابية داخل العالم الافتراضي وفق نمطية تفاعلية جديدة.

فانتشار شبكات التواصل الاجتماعي أتاح للبنيات الاجتماعية التقليدية (النسق القرابي والعلاقات القرابية) إعادة إنتاج وظائفها وسياقاتها التفاعلية ضمن معطى افتراضي جديد له خصوصيته ومميزاته، وسمح بالانتقال من المعطى الواقعي القائم على التفاعل المباشر والقرب المكاني والفيزيقي للأسرة أو العائلة إلى المعطى الافتراضي القائم على التفاعل عبر المنصات والوسائط الرقمية وإلغاء الحدود والفواصل الجغرافية والزمانية، ما يعبر عن إعادة إنتاج وتشكيل للعلاقات القرابية وفق سياق افتراضي.

ضمن هذا السياق تهدف هذه المداخلة إلى معرفة تأثيرات شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات القرابية، وسيرورات ومآلات التحول من الحضور الواقعي إلى التفاعل الافتراضي من خلال طرح الإشكال التالي: كيف أثرت شبكات التواصل الاجتماعي على طبيعة النسق القرابي والعلاقات القرابية؟ وهل عززت هذه الشبكات منظومة العلاقات القرابية أم أعادت تشكيلها وفق نمط افتراضي؟

ويندرج ضمن هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هي أهم المقاربات السوسيولوجية المفسرة لتأثير شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات القرابية؟
- ما انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات القرابية؟
- فيما تتمثل أبرز مظاهر التحول في العلاقات القرابية؟

2. مقارنة مفاهيمية

1.2 شبكات التواصل الاجتماعي: عرف كل من "كابر" و "هايس" مواقع التواصل الاجتماعي بأنها: "قنوات تعتمد على الانترنت وتتيح للمستخدمين استغلال التفاعل والتواجد الذاتي الانتقائي، إما فوراً أو بشكل غير متزامن، مع جماهير واسعة ومحددة، لتنتج قيم محتوى وتصور التفاعل مع الآخرين، كما أشار إلى أن تفاعل المستخدمين سيتأثر بشكل متزايد بإمكانات وسائل التواصل الاجتماعي، ومن أبرز الأمثلة عن وسائل التواصل الاجتماعي هي مواقع الشبكات الاجتماعية (فيسبوك انستغرام لينكدان...) ("دليو و

جنح، 2020، الصفحات 77-102)، فشبكات التواصل الاجتماعي عبارة عن منصات تواصلية وفضاءات رقمية افتراضية تسمح لروادها ومستخدميها من التفاعل والتواصل وتبادل الرموز والمعاني ومختلف المضامين والدلالات الاجتماعية، وتتيح لهم بناء وتطوير علاقات اجتماعية جديدة أو إعادة ترتيب وتشكيل العلاقات القائمة وفق سياق راهني يتمشى والتحولات المعاصرة، وتعد هذه الشبكات بمثابة امتداد للتفاعلات الواقعية التي تحدث في الحياة اليومية أين يعاد إنتاجها وتشكيل بنيتها ضمن فضاءات رقمية افتراضية ذو منطق مختلف ومتميز.

2.2 العلاقات القرابية: تعرف العلاقات القرابية على أنها "تلك الروابط التي تنشأ من الزواج والأبوة والإخوة التي تربط بين أعضاء العائلة النووية كل منها بالآخر والتي تكون شبكة العلاقات التي تتولد عن الانحدار القرابي والمصاهرة والعلاقات القرابية - فعلية حقيقية أو مزعومة أو مفترضة - ويمكن تتبعها بين الأبناء والإباء والإخوة وهي علاقات مقررة ومعتزف بها لأغراض اجتماعية معينة" (عبده، 1985، صفحة 40). كما تعرف أيضا على أنها "تلك الروابط القرابية التي تشكل فيما بينها شبكة تفرض على وحداتها التزامات أخلاقية، لكن هذه الالتزامات تظل مجرد شعارات نظرية ولا تكون حقيقية ما لم تتحول إلى أنشطة فعلية ينتفع منها الأقارب في ظروف معينة" (النوري، 2011، صفحة 90)، وبالتالي فالعلاقات القرابية تتمثل في منظومة العلاقات والروابط التي تنشأ بين الأفراد والجماعات والقائمة أساسا على القرابة بالدم أو المصاهرة والنسب، حيث تمثل إطارا لعمليات التكافل والتساند المتبادل وتتميز به المجتمعات الإنسانية سواء التقليدية أو المعاصرة، كما تشكل إحدى أهم الدعائم الأساسية في التنظيم الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية.

3.2 الحضور الواقعي: وهو عملية التفاعل المباشر بين الأفراد والجماعات وتتضمن اللقاء وجها لوجه في إطار تقاسم المعطى المكاني والزمني، وتعتمد من خلاله الأطراف المتفاعلة على تبادل الإشارات والرموز والكلمات والمعاني المحددة ثقافيا داخل السياق الاجتماعي.

4.2 التفاعل الافتراضي: ويعتبر عملية من عمليات التواصل الاجتماعي غير المباشر ونمط من أنماط الاتصال والتفاعل الرقمي الذي يستند الى وسائط الكترونية يتفاعل من خلاله الافراد والجماعات، ويفتقر

هذا النوع من التفاعل الى الاتصال الجسدي والمكاني ويعوض بالمعطى اللحظي او الزمني، حيث يتبادل من خلاله الافراد المعاني والرموز والدلالات ضمن فضاء افتراضي رقمي مشترك دون تواجد مادي مباشر.

5.2 الهشاشة: تشير الى ضعف وتراجع العلاقات والروابط الاجتماعية التي تنشأ بين الافراد والجماعات سواء كانت هذه الروابط: قرابية، اسرية، جهوية، اجتماعية... الخ، ما يجعلها أكثر قابلية للتفكك وعدم الاستقرار، وتتجلى مؤشراتهما من خلال: تراجع التضامن الاسري والقرابي، ضعف الانتماء والتكافل بين الافراد، سطحية العلاقات الاجتماعية، تراجع الثقة المتبادلة، هذا التراجع في العلاقات والروابط الاجتماعية يؤدي الى اضعاف التماسك المجتمعي وجعل الافراد أكثر عرضة للتفكك والمخاطر الاجتماعية.

3. مقارنة سوسيونظرية لشبكات التواصل الاجتماعي والعلاقات القرابية

1.3 مقارنة هابرماس حول الفضاء العام الرقمي: يعد الفضاء العمومي عند هابرماس مجال وميدان من التفاعل الاجتماعي يتيح للأفراد تبادل الأفكار بكل حرية واستقلالية ومناقشتها حول الشؤون العامة، كما يعتبر على انه "الحيز المعنوي الذي يتم فيه عقد النقاشات العامة من اجل اتخاذ القرارات التي تسيّر الشأن العام" (جرادي و سوامية، 2021، الصفحات 151-168)، ومع التطورات التكنولوجية والرقمية وانتشار منصات التواصل الاجتماعي وتأثيراتها العميقة على الحياة الاجتماعية يمكن تطوير هذه المقاربة وتوظيفها ضمن ما يسمى بالفضاء العام الرقمي الذي يتم انتاجه داخل العالم الافتراضي بحيث تسمح لنا هذه النظرية والاطر التحليلية التي قدمتها من فهم وتحليل بعض جوانب التحول في النسق القرابي والعلاقات القرابية ضمن الفضاء الرقمي الافتراضي، فبعدها كانت البنية القرابية ورمزيتها وتفاعلاتها تتم ضمن فضاءات خاصة تقليدية داخل اسوار المنازل والفضاءات الخاصة من خلال اللقاءات العائلية والمناسباتية، اعيد انتاجها داخل شبكات التواصل الاجتماعي كفضاء عام رقمي يتم من خلال تبادل الرموز والدلالات والتفاعلات في فضاءات رقمية مفتوحة يتجاوز النسق القرابي والعلاقات القرابية المغلقة.

فالفضاء العام الرقمي أنتج تحولات في أنماط التواصل القرابي وسيرورة العلاقات القرابية بحيث أحدث تغيرات في رمزية القرابة وباتت التفاعلات والنقاشات تعرض على جمهور واسع ضمن مواقع التواصل الاجتماعي بعدما كانت حكراً على من يحملون نفس الانتماء القرابي، أي ان هذا الفضاء الرقمي

أدى الى اضعاف الخصوصية القرابية وسمح لغير الاقرباء من الولوج الى الفضاء الخاص بالبنية القرابية وتلاشي الحدود والفواصل بين المجال الخاص والعام داخل العلاقات القرابية.

3.2. مقارنة مانويل كاستلز: تعد المقاربة التي طورها السوسيولوجي مانويل كاستلز من اهم المقاربات التي قدمت اطر تحليلية ملائمة لفهم التحولات المجتمعية، ومنها تحول العلاقات القرابية ضمن شبكات التواصل الاجتماعي خاصة مع انتقالها من الفضاء الواقعي التقليدي الى الفضاء الافتراضي التفاعلي، ويؤكد كاستلز ان التكنولوجيات الرقمية والتطورات التكنولوجية التي تشهدها المجتمعات المعاصرة انتجت لنا مجتمعات تنتظم فيها العلاقات والتفاعلات عبر وسائط رقمية -المجتمع الشبكي- "وهو المجتمع الذي ينظم نفسه حول الشبكة"(الغزواني، 2020، الصفحات 143-162)، وهذه الأخيرة لا تتأثر بالقرب المكاني او بالبنى التقليدية القرابية بقدر ما تتأثر بالاتصالات والتفاعلات اللحظية ضمن الفضاء الرقمي، "ويتخذ التواصل والتفاعل في المجتمع الشبكي الطابع المتزامن الذي يفترض الحضور الآني لأطراف التواصل او اللامتزامن الذي يفترض الغياب الفيزيقي لأطراف التفاعل زمن التواصل، الامر الذي يؤثر في مجرى العلاقات الافتراضية في المجتمع الشبكي التي تتخذ طابعا خاصا يختلف عن محدداتها في الواقع"(سهلي و بخوش، 2020، الصفحات 93-103).

فالبنية القرابية والعلاقات القرابية ضمن مجتمع الشبكة أصبح التواصل فيها يتم عبر وسائط رقمية تعيد انتاج التفاعل والتواصل العائلي عبر فضاء رقمي، فهذه المقاربة تؤكد ان العلاقات والتفاعلات في المجتمعات المعاصرة لم تعد تحتكم الى القرب المكاني والتواجد الواقعي بل أضحت تتم ضمن شبكات رقمية ومنصات افتراضية والعلاقات القرابية بدورها لم تعد تبني على الروابط الدموية والمجال التقليدي بقدر ما تتم صياغتها من خلال تفاعلات افتراضية تمارس عبر وسائط رقمية، وبالتالي تفرز هذه الشبكات القرابية نمطا جديدا للقرابة الشبكية ضمن مجتمع متحول رقميا - المجتمع الشبكي -، يعتمد بالدرجة الأولى على قوة الحضور والتفاعل الرقمي اكثر من القرب البيولوجي والمكاني.

3.3. مقارنة التفاعلية الرمزية: تؤكد المقاربة التفاعلية الرمزية على فكرة أساسية وجوهرية وهو ان الواقع الاجتماعي لا يفهم باعتباره معطى موضوعيا ثابتا بل هو بناء رمزي يتشكل من خلال التفاعلات المتكررة

والمعاني التي يضيفها الافراد على سلوكهم وسلوك الآخرين، ويقصد بالتفاعل الرمزي ذلك "التفاعل الذي يقوم بين الافراد ضمن نسق مجتمعي معين، ويظهر ذلك التفاعل في مجموعة من السلوكيات التي يقوم بها فاعل ما في علاقة بالسلوك الذي يصدر عن الفاعل الآخر، وتعبير آخر تصدر عن الذوات المتبادلة مجموعة من الأفعال وردود الأفعال في تماثل مع بنية المجتمع وتتخذ هذه الأفعال معاني ودلالات رمزية متنوعة تستلزم الفهم والتأويل" (نجيب، 2023، صفحة 2)، وفي كتاب التفاعلية الرمزية يعرف هربرت بلومر التفاعل الرمزي بأنه "خاصية مميزة وفريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس وما يجعل هذا التفاعل فريدا هو ان الناس يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم بدلا من الاستجابة المجردة لها، ان استجابتهم لا تصنع مباشرة وبدلا من ذلك تستند الى المعنى الذي يلصقونه بأفعالهم" (الخوراني، 2008، صفحة 28)، وبإسقاط هذا التحليل على العلاقات القرابية ضمن مواقع التواصل الاجتماعي يمكن التأكيد على ان هذا الفضاء الافتراضي لم يؤثر فقط على طبيعة التواصل والتفاعل الذي يتم بين الاسر والعائلات بل أدى الى انتاج رموز ومعاني مشتركة لا يمكن فهم دلالاتها العميقة الا من خلال التفاعل المتكرر والمستمر.

وضمن هذا الطرح فالعلاقات القرابية التي يتم إعادة انتاجها وترتيبها داخل الفضاء الرقمي تمارس من خلال: الرموز والصور، التعليقات، الاعجابات، الرسائل، والتي تحمل رمزية بين الأطراف المتفاعلة بحيث يعكس الاعجاب او التعليق على منشور او صورة لاحد الأقارب دلالات ومعاني عميقة للتعبير عن الانتماء القرابي او الاحترام المتبادل، كما يعكس التجاهل شكلا من اشكال التوتر او التهميش او سوء العلاقات داخل بنية القرابة، وبالتالي فالتفاعل الرمزي داخل الفضاء الرقمي يعكس طبيعة التمثلات الاجتماعية للنسق القرابي باعتباره فضاء مفتوحا لإنتاج المعاني والدلالات داخل العلاقات القرابية.

4.3 مقارنة الفردنة individualization: تعد الفردانية "خاصية مميزة للمجتمعات الحديثة الذي يعتبر الفرد فيها الوحدة المرجعية الأساسية، وهو الذي يقرر مهنته ويختار قرينه وهو يتحمل بحرية تامة ومسؤولية معتقداته وآرائه وافعاله كما ان استقلاله الذاتي أكبر مما هو عليه في المجتمعات التقليدية" (بودون و بوريكو، 2007، صفحة 414)، تشير مقارنة الفردنة او الفردانية الى ان المجتمعات المعاصرة شهدت تحولات بنيوية وهيكلية عميقة أدت الى تعزيز التوجه نحو النزعة الفردانية وان انتشار شبكات التواصل الاجتماعي

ساهمت في جعل الافراد اكثر ميلا نحو النزعة الفردانية داخل البنية القربانية، حيث ان الفرد في ظل التحولات التكنولوجية المتسارعة وضمن الفضاءات الرقمية ينتقي علاقاته ويختار من يتفاعل ويتواصل معهم سواء من داخل القربة او خارجها، خاصة وان هذه المنصات تمنح نوع من الحرية والاستقلالية للفرد في بناء هويته الخاصة والتعبير عنها، وكذا تسمح له باختيار علاقاته وتفاعلاته وفقا لميولاته ورغباته الشخصية حتى وان كان ذلك خارج السياق القرباني او وفقا لما تفرضه روابط الدم والمصاهرة، وهو ما يتمظهر اكثر ضمن مواقع التواصل الاجتماعي اين يمكن لرواد هذه الفضاءات ان يتواصلوا مع افراد لا تربطهم بهم روابط قربانية ويُنشئوا علاقات مع افراد يتقاسمون معهم نفس الاهتمامات والأفكار والتصورات.

وضمن هذا السياق تصبح التفاعلات والعلاقات القربانية تخضع لمنطق الانتقاء والاختيار لا رابطة الزامية وحتمية، مما يؤكد ان هذه المقاربة تشير الى ان شبكات التواصل الاجتماعي تساهم في اضعاف وهشاشة العلاقات القربانية والتماسك العائلي ضمن النسق القرباني في المقابل تعزز الفردانية الشبكية المتعالية عن أي رابط جماعي ومجتمعي، والميل الى الانتقائية والاختيارية في عمليات التفاعل والتواصل.

4. انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات القربانية:

1.4 ضعف وهشاشة العلاقات الرقمية الافتراضية: شبكات التواصل الاجتماعي افرزت نمطا جديدا من التفاعلات الاجتماعية داخل الفضاء الرقمي، وبالرغم من كثافتها وتساعد وتبرحها الا انها وصفت بالعبارة والسائلة والزبئية، وكذا قابليتها للتعديل والزوال ما يؤكد ضعفها وهشاشتها مقارنة بالعلاقات الاجتماعية والتفاعلات المباشرة التي تحدث بين الاسر والعائلات في الحياة الواقعية، والتي تستند الى الاحتكاك المباشر والاستمرارية والالتزامات المتبادلة بالإضافة الى الدفء والحميمية، خلافا للعلاقات الرقمية التي تفتقد الى الاستمرارية والتفاعل الجاهي بين الافراد بحكم انها تعتمد على تفاعل رقمي قائم على رموز واشارات عابرة: لايك، مشاركة، تعليق، تفاعل... الخ.

وما يجعل هذه العلاقات الرقمية تتميز بهشاشة هو سهولة بنائها وهدمها في نفس الوقت وقابليتها للانقطاع في أي لحظة ودون مقدمات، اذ يمكن للفرد ان ينهي هذه العلاقة بمجرد الغاء المتابعة او النقر على زر الحظر، وبالتالي فهي علاقات عابرة وسائلة وفق تعبير باومان عندما تطرق لما يسمى بالحدثة

السائلة التي حسبه تنتج افراد يميلون الى نسج علاقات عابرة وغير مفيدة يمكن انهاؤها بسهولة دون أي جهد او التزام عاطفي ووجداني، هي علاقات آنية وانتقائية يسودها منطق التفاعل اللحظي والسطحي والتجاهل السريع أُفرغت من محتواها العاطفي، وتكمن خطورة هذه العلاقات الرقمية عندما تصبح العلاقات القرابية في حد ذاتها رقمية وافتراضية مما يزيد من هشاشتها وسهولة تفككها، فينتقل التفاعل من الحضور الواقعي والمكاني: الزيارات العائلية في الأعياد والمناسبات، مشاعر المودة والاهتمام، تبادل الهدايا، اللقاءات الوجدانية، الى التفاعل عبر الفضاء الافتراضي من خلال: الاعجاب، التعليق، المشاركة، ما يفقد النسق القرابي معناه الحقيقي ووظيفته في الحفاظ على التماسك واستمرارية البنى الاجتماعية.

2.4. تصدع الرأسمال الرمزي للنسق القرابي: الرأسمال الرمزي كما أشار اليه عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو يشير الى انه نسق من الرموز والقيم والمعاني والاعترافات الاجتماعية والثقافية التي تمنح الفرد قبولاً وشرعية ضمن المحيط الاجتماعي، "ويرى بورديو ان راس المال الرمزي هو مثل أي ملكية او أي نوع من راس المال طبيعي اقتصادي اجتماعي ثقافي يكون مدركا من جانب فاعلين اجتماعيين تسمح لهم مقومات ادراكهم بمعرفتها والاقرار بها ومنحها قيمة، ويدخل راس المال الرمزي مختلف الحقول والمجالات ومختلف اشكال السلطة والهيمنة وفي مختلف اشكال العلاقات الاجتماعية" (العظيم، 2011، الصفحات 55-77)، ويشير الرأسمال الرمزي للنسق القرابي الى العلاقات والروابط ومجموعة القيم: قيم الاحترام وقيم التعاون والتضامن، الالتزامات والواجبات المتعلقة بروح الانتماء وروابط القرابة... الخ، كذلك الرموز والمعاني التي تربط افراد العائلة وتمنح الاسرة والعائلات او البنية القرابية المكانة والهبة داخل الفضاء الاجتماعي.

غير ان الملاحظ اليوم هو ان هذا الرأسمال الرمزي للقرابة يشهد تراجعاً وتصدعاً خاصة في ظل التحولات الرقمية وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت فضاء لإعادة انتاج وترتيب العلاقات القرابية والقرابة، ويتجلى هذا التصدع في تراجع النسق القيمي للقرابة: تراجع قيم التعاون والاحترام المتبادل بين الافراد، ضعف الالتزام بالواجب والانتماء القرابي، تراجع الانضباط داخل العلاقات القرابية، وأصبحت مكانة افراد الاسرة او العائلة تعتمد على الحضور الافتراضي والتفاعلات المتبادلة ضمن الفضاء الرقمي، المحتوى المتبادل بين الافراد ودرجة التجاوب معه، عدد المتابعين، مما يؤدي الى تهميش الكبار: الاب، الام،

الجد، الجدة... الخ، وتراجع السلطة التقليدية وشرعية الأدوار المحددة داخل البنية القرابية لصالح من يسجلون حضورهم وتفاعلهم ضمن مواقع التواصل الاجتماعي.

وضمن هذا السياق يفقد النسق القرابي رمزيته كمرجع للدلالات والمعاني ويتصدع الرأسمال الرمزي الذي كان يضفي على العلاقات القرابية طابع القداسة ويحافظ على وحدة واستقرار النسق العائلي وتراجع قيم الاحترام المتبادل والتعاون امام بروز وتشكل نمط جديد للقرابة - القرابة الشبكية او الرقمية - التي تتسم بالهشاشة، ويعجز عن أداء دوره داخل البنية القرابية، ويصبح مجرد رابطة بيولوجية مفرغة من محتواها ووظيفتها الحقيقية تتشكل ضمن عالم افتراضي تحكمه منطوق التفاعلات الرقمية والدلالات والمعاني الرمزية.

4.3 صراع الخصوصية داخل البنية القرابية: في ظل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وانتشار الثقافات الوافدة والأفكار الدخيلة على مجتمعاتنا العربية والإسلامية، والتي تمارس اكراهات على الافراد والعائلات تدفعهم الى التقليد والمحاكاة والانحراف عن ماهو محدد ومتفق عليه ضمن الثقافة المجتمعية والبنىات القرابية، ومن منطلق خصوصية وهيكله منصات التواصل الاجتماعي التي تمنح نوع من الحرية والاستقلالية لدى الفرد وترسم له معالم تؤسس لفضاء خاص ومغلق يستغله بعض الافراد لمشاركة يومياتهم والتعبير عن عالمهم الخاص او التعدي على خصوصية الآخر وعدم احترامه بشكل قد يكون مبالغ فيه الى حد كبير، مما يسهم في انتاج ما يمكن تسميته بصراع الخصوصية بين افراد يعتقدون بأن لهم كامل الحرية والاستقلالية في التعبير عن أفكارهم وقيمهم ومشاركتهم حياتهم الخاصة من منطلق امتلاك فضاء شخصي خاص وبين توقعات الاسرة او العائلة التي ترسم حدود لتنظيم عملية التفاعل ضمن العالم الافتراضي والمتفق عليه ضمناً داخل البنية او النسق القرابي.

فشبكات التواصل الاجتماعي انتجت صراعا ضمن النسق القرابي يظهر من خلال التعدي على خصوصية العائلة ومشاركة كل ماهو خاص وداخلي بشكل علني ضمن العالم الافتراضي ما أدى الى خلق صراعات وتوترات داخل البنية القرابية سواء بشكل مباشر او ضمني - غير مباشر - ومن صور هذا الصراع: الصراع بين الوالدين والابناء، الصراع بين الأبناء فيما بينهم، الصراع بين الأقارب... الخ، حول بعض المضامين والمحتويات التي تنشر ضمن مواقع التواصل الاجتماعي، كما ان صراع الخصوصية داخل البنية

القرباية يعكس صراعات عميقة بين البنية القرباية التقليدية القائمة على : قيم التضامن والسلطة الابوية وتقديس الانتماء القرابي والرقابة الجماعية، وبين ماهو فردي وخصوصي مع صعود وتنامي ثقافة الذات الرقمية، التي تعمل على تكريس الحرية والاستقلالية التامة حتى ولو كان ذلك على حساب وحدة وتماسك العائلة او البنية القرباية.

5. تحولات العلاقات القرباية - مظاهر ومؤشرات

1.5 التحول من القرباية التقليدية (النسب والمكان) الى القرباية المتصلة شبكيا ورقميا: فالتطور التكنولوجي والتحول الرقمي الذي تشهده المجتمعات المعاصرة أدى الى تغيرات عميقة وتحولات بنيوية في أنماط واشكال العلاقات القرباية القائمة على روابط الدم والنسب، اين انتقل النسق القرابي بنموذجه التقليدي القائم بالدرجة الأولى على القوة والتماسك ومعايير التضامن والدعم المتبادل والحضور الواقعي والجسدي بين الافراد والجماعات القرباية، الى نمط جديد فرضته التحولات المتسارعة قائم أساسا على قرابة بمنظور جديد يسعى الى المواءمة والتكيف مع التحول الرقمي وإعادة تشكيل شبكة العلاقات القرباية وفق ما يسمى بالقرباية المتصلة او الموزعة رقميا ضمن مواقع التواصل الاجتماعي تتسم بتغير طبيعة التفاعل والتواصل وحضور افتراضي بدل الحضور الفعلي والوجاهي -وجها لوجه-.

وضمن هذا الاطار فالقرباية قد تحولت من منظومة او شبكة اجتماعية تتميز بالتماسك والحضور الواقعي والروابط القوية التي تجمع افراد يشتركون في روابط الدم والنسب او المصاهرة تتموضع ضمن حيز مكاني متقارب واطار زمني مشترك، يتفاعلون بشكل مباشر من خلال الرموز والالفاظ التي تحمل دلالات ومعاني مشتركة لثقافة موحدة يتبادل أعضائها مختلف اشكال التضامن المادي والرمزي، الا ان الملاحظ هو ان العديد من مظاهر وملامح العلاقة القرباية أصبحت تمارس عبر الواقع الافتراضي وضمن مواقع التواصل الاجتماعي الذي اعادت انتاج النسق القرابي وفق تراتبية وهيكلية جديدة تختلف تماما عن القرباية الواقعية ما أدى الى افرائها من محتواها الحقيقي، اين تحولت الى قرابة شبكية موزعة رقميا لا تتطلب حضورا واقعا وجسديا ولا الزاما وواجبا اجتماعيا، تخضع لمنطق الاختيار والانتقاء، هذا التحول في مظاهر العلاقة القرباية الشبكية او الافتراضية أدت الى تراجع التفاعل المباشر واثرت على العلاقات الاجتماعية العميقة، انتجت

لنا علاقات سطحية ورمزية لا تتعدى مستوى الاعجاب او التعليق على منشورات او صور معينة، او التفاعل عبر رسائل نصية ومحادثات عابرة، كبديل للحضور الواقعي والتفاعل الوجداني.

هذا التحول في العلاقات القرابية لا يعني بالضرورة تفكك وتصدع النسق القرابي بقدر ما هو إعادة إنتاج للقرابة وتشكيل للعلاقات القرابية وفق سياق تواصل جديد فرضته التحولات التكنولوجية العميقة التي تمر بها المجتمعات المعاصرة، بالرغم من انها اقل تماسكا وأكثر هشاشة مقارنة بالنسق القرابي التقليدي القائم على الحضور الفعلي والواقعي، ورغم ذلك تبقى القرابة والعلاقات القرابية تؤدي وظيفتها الوجدانية وحاضرة في الكثير من السياقات واللحظات التاريخية.

2.5. تراجع التفاعلات المباشرة (الجسدية و اللحظية) وتنامي الحضور الافتراضي والتفاعلات الرقمية:

فالعصر الرقمي وما يتميز به من تفاعلات رقمية افتراضية اثر بشكل كبير على طبيعة التفاعلات الاجتماعية المباشرة مما أدى الى تراجع منظومة العلاقات القرابية والروابط التي تجمع الافراد من نفس القرابة والجهة، تلك العلاقات والتفاعلات التي تتم بشكل مباشر وجها لوجه وتتطلب حضورا مشتركا واقعيا و لحظيا في ان واحد، أضحت تشهد تراجعا ملحوظا لصالح أنماط جديدة من التفاعلات الافتراضية، مما أدى الى إعادة تشكيل السياق التفاعلي وأنماط الاتصال والتواصل بين الاسر والعائلات وفرض أنماط جديدة من العلاقات المتبادلة بين الافراد قائمة على التفاعلات الرقمية بدل اللقاء الواقعي المباشر الذي يفرض حضورا مكانيا وزمانيا كشرط أساسي لبناء علاقات اجتماعية او الحفاظ على استمراريتها، وأضحى الفضاء الرقمي هو المهيمن على عملية التواصل والتفاعل من خلال المحادثات النصية، التعليقات، والاعجابات المتبادلة، الرموز التعبيرية التي يتم تبادلها بين الاسر والعائلات.

ان هذا التحول في آليات التفاعل والتواصل ضمن النسق القرابي يمثل تحول سوسيو ثقافي في أسلوب حياة الاسر والعائلات قائم على اختزال نسق العلاقات ضمن رموز ودلالات لتمثلات رقمية تحمل معاني التفكك والهشاشة والافتقار الى العمق الوجداني والحضور الفعلي لأشكال التساند المتبادل، يمكن فهم هذا التحول في أنماط التفاعلات الرقمية وتراجع الحضور الواقعي للنسق القرابي الى الرغبة في مواكبة التطورات الحاصلة والسعي الى التكيف معها، اضافة الى ذلك تصاعد ما يسمى بالفردنة او الفردانية

التي تتجلى أكثر في الميل الى الحضور الافتراضي ضمن مواقع التواصل الاجتماعي كشكل من اشكال الوجود الاجتماعي الافتراضي اين يسجل الفرد حضوره رقميا ويتفاعل مع باقي الأعضاء ويشاركهم تفاعلاتهم بالرغم من الافتقار الى الشعور الوجداني والحميمية وكافة اشكال الدعم والاستمرارية الذي تتميز به العلاقات القرابية التقليدية، وتعبير عالم الاجتماع زيجمونت باومان "فالحداثة السائلة من خلال آلياتها المتمثلة أساسا في تكنولوجيا الاتصال الحديثة أدت الى انفصال الاشكال الاجتماعية الصلبة عن مقومات الصلابة بها حيث لم تعد قادرة على الاحتفاظ بشكلها زمنا طويلا، فنجدها تنحل وتنصهر بسرعة تفوق الزمن اللازم لتشكيلها، بصورة لا تمكنها من ان تكون اطر مرجعية لأفعال الافراد والاستراتيجيات الاجتماعية على المدى الطويل" (باومان، 2017، الصفحات 25-27)، وبالتالي فإن التفاعل الرقمي ينتج علاقات سائلة تتميز بالهشاشة والقابلية للزوال والسرعة في التحول والافتقار الى الحميمية والاستمرارية الذي تتميز به التفاعلات الحضورية والواقعية.

3.5 إعادة تشكيل الرمزية القرابية ضمن المنصات الرقمية: "فقد عرفت الاسرة تغيرات عديدة مست جوانب أساسية في البناء الاجتماعي للعائلة أدت الى تشكل قيم اجتماعية وثقافية جديدة" (بجياوي، 2024، الصفحات 127-140)، وتشكل العلاقات القرابية بتفاعلاتها وتمثلاتها الواقعية رمزية خاصة تمنح للنسق القرابي معناه الاجتماعي والثقافي وتحافظ على التماسك الاجتماعي والاستمرارية "وتعكس مجموع التزامات يشعر من خلالها الافراد بانهم أعضاء ضمن جماعة واحدة" (بجياوي، 2024، الصفحات 127-140)، تتمظهر هذه الرمزية من خلال الزيارات المتبادلة خاصة في الأعياد والمناسبات، والعلاقات الحميمية التي تربط بين الاهل والأقارب، تبادل الهبات والهدايا، الخطابات المقترنة بروح الانتماء والعاطفة القرابية، بالإضافة الى رمزية القيم التي تعكس روح الانتماء والروابط القرابية: قيم الاحترام المتبادل بين الاسر والعائلات، الصغار والكبار، قيم التقدير، قيم الصدق والأمانة... الخ، هذا المعطى الواقعي يمنح رمزية خاصة للنسق القرابي والعلاقات القرابية القائمة بين الافراد.

الا ان التحولات التكنولوجية وافرازات الثورة الرقمية كانت لها تداعيات وآثار على نمط العلاقات القرابية التي أعيد تشكيلها واتاجها وفق رمزية جديدة، حيث ان انتشار المنصات الرقمية ومواقع التواصل

شبكات التواصل الاجتماعي وتحولات العلاقات القرابية - من الحضور الواقعي إلى التفاعل الافتراضي -

الاجتماعي جعل منها أدوات رئيسية وفضاءات جديدة للتواصل والتفاعل بين الافراد تجاوزت من خلالها الأطر التقليدية، اين اضحى الحضور الافتراضي والتواجد الرقمي بديلا للتواجد الفعلي والواقعي فبعدها كانت رمزية القرابة والصلات القرابية يعبر عنها بالتواجد الفعلي وتبادل الزيارات والتفاعلات اللحظية والجسدية، أُعيد تشكيل هذه الرمزية وأصبحت تتم ضمن مواقع التواصل الاجتماعي وعبر الوسائط الرقمية من خلال التعليقات وتسجيل الاعجابات بالصور والمنشورات، تبادل التهاني والتبريكات، مشاركة الصور واللحظات العائلية، التفاعل مع الاحداث اليومية التي يتم مشاركتها عبر منصات التواصل الاجتماعي، وهذا النمط الجديد من التفاعل الافتراضي الذي فرضته التحولات الجديدة اثر بشكل كبير على النسق القرابي، أصبحت من خلالها العلاقات القرابية لا تقاس بمدى قوة الحضور والتواصل الواقعي والوجهي فقط بل أيضا بمدى التواجد والتفاعل الافتراضي الذي يوليه الفرد لأسرته وأقاربه ضمن الوسائط الرقمية، وبالرغم من انها رموز بصرية وكلمات عابرة ضمن فضاء رقمي وعالم افتراضي الا انها تحمل دلالات رمزية ومعاني يمكن ان تؤثر حتى على طبيعة العلاقات القرابية الواقعية.

هذه الرمزية القرابية التي تسجل حضور ضمن العالم الافتراضي تحمل في طياتها الكثير من التناقضات والمغالطات، فمن جهة يمكن ان توحي بالحضور والتواجد الافتراضي بين الافراد الذين يحملون نفس الروابط القرابية والدموية يتشاركون ضمنها دلالات ورموز ويتفاعلون عبر كلمات موجزة ورموز بصرية، ومن جهة أخرى هذا التواجد الافتراضي والتفاعل عبر العالم الشبكي يمكن ان يخفي الكثير من الزيف والمغالطات ويقدم لنا اشكالا من البرود الاجتماعي في العلاقات القرابية والقطيعة الواقعية والحقيقية، مما يجعل هذا النمط الجديد للرمزية القرابية الشبكية تجمع بين الحضور الافتراضي والغياب الواقعي بين الاستمرارية والقطيعة.

4.5 نحو بروز نمط جديد للقرابة - القرابة الشبكية -: ومثلما اشرنا سابقا فان التحولات التكنولوجية والرقمية المتسارعة التي تعيشها المجتمعات المعاصرة لها تداعيات على منظومة العلاقات الاجتماعية بشكل عام والنسق القرابي على وجه الخصوص، اين تشكلت ملامح أسست لنمط قرابة جديد تؤطره التفاعلات الرقمية عبر الوسائط الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي يمكن ان نصطلح عليها بالقرابة الشبكية التي

تشهد حضورا افتراضيا لنسق العلاقات القرابية وإعادة إنتاج للروابط القائمة على الدم والنسب او المصاهرة، اين أضحت الاسر والعائلات تسجل حضورها ضمن العالم الافتراضي وتتفاعل بشكل متزايد عبر مواقع التواصل الاجتماعي: فيسبوك، تويتر، انستغرام، واتساب... الخ.

في هذا الاطار يتم إعادة إنتاج وترتيب منظومة العلاقات القرابية ودرجة الحميمية في العلاقات التي تربط الأقارب فيما بينهم، وكذا مستويات التماسك العلائقي بناء على مستويات ودرجات الحضور والتفاعل الرقمي، وبالتالي العلاقة القرابية التي تجمع فرد ما بآخر تتأثر بمدى الحضور والتفاعل عبر الوسائط الرقمية مقارنة بأفراد آخرين لم يسجلوا تواجدهم ضمن مواقع التواصل الاجتماعي او العالم الافتراضي، وعلى سبيل المثال قد يصبح الحال الذي يستخدم منصات التواصل الاجتماعي ويسجل حضوره المستمر اكثر تأثير من العم المنقطع عن الفضاء الافتراضي، وهذا النمط الجديد من القرابة الشبكية يتغير تبعا لطبيعة التفاعلات الرقمية المتكررة التي تحدث بين الافراد ضمن العالم الافتراضي او حتى انقطاعها، أي ان هذه القرابة الشبكية تعكس سيورة التحول والانتقال من اعتبار العلاقات القرابية او القرابة من كونها رابطة الزامية واجبارية تفرض على الافراد التقيد بأطرها الى علاقة تواصلية اختيارية وانتقائية يتم تعديلها باستمرار، فيحدد الفرد من يتفاعل معهم ومن يتجاهلهم تبعا لوضعيات معينة، مما يؤدي الى انتاج علاقات قرابية متغيرة باستمرار -علاقات زبئية -.

ضمن هذا السياق فالقرابة اخذت شكلا ومعطى جديد فرضته التحولات الرقمية وطبيعة المجتمع الرقمي او الشبكي وتفاعلاته كما أشار الى ذلك مانويل كاستلز، وأضحت العلاقات والروابط القرابية يُعاد انتاجها وترتيبها وفق منطق شبكي جديد تُنسج فيه العلاقات والروابط ضمن فضاء افتراضي تتحكم فيه الى حد بعيد الوسائط الرقمية من جهة وشخصيات الافراد وتفاعلاتهم المستمرة من جهة أخرى، فالعلاقة بين الاسر والعائلات لم تعد تتحدد فقط بروابط الدم والمصاهرة بل يتم صياغتها ضمن ثقافة تواصلية افتراضية قائمة على التفاعل الرمزي: الاعجاب، التعليق، المشاركة، ردود الأفعال... الخ، الذي يسجل الحضور اللحظي والتفاعل الفوري مع الاحداث.

6. خاتمة

ختاما يمكن القول ان شبكات التواصل الاجتماعي كمعطى جديد ضمن الممارسة اليومية لها تأثيرات على العلاقات القرابية برمزياتها ودلالاتها، الا انها لم تلغ القرابة بل اعادت تشكيلها وتنظيمها وفق نمط جديد يساير التحولات المعاصرة التي تعيشها المجتمعات، فالقرابة والعلاقات القرابية أُعيد انتاجها عبر وسائط رقمية تفرض منطقا جديدا للتفاعل والتواصل بين الافراد، ما جعل أشكال الحضور الواقعي يتراجع لصالح التفاعل الافتراضي الذي يتميز بالسرعة والانتقائية وتلاشي الحدود والفواصل المكانية واللحظية بالإضافة الى الهشاشة والسطحية مقارنة بالعلاقات القرابية الواقعية مما أثر على الرمزية القرابية.

فالتحول في العلاقات القرابية ضمن شبكات التواصل الاجتماعي من الحضور الواقعي الى التفاعل الافتراضي يندرج ضمن التغيرات السوسيوثقافية للمجتمعات الإنسانية، والذي يمس بشكل مباشر جوهر العلاقات والروابط الاجتماعية، ما يستدعي ضرورة تعميق الفهم بشكل يوازن بين التحولات الرقمية والروابط الاجتماعية والمواءمة بين التقنية ومتطلبات الحفاظ على متانة الروابط والتماسك الاجتماعي.

7- قائمة المراجع

• المؤلفات:

- ريمون بودون، و فرانسوا بوريكو. (2007). المعجم النقدي لعلم الاجتماع. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- زيجمونت باومان. (2017). الخوف السائل. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- عبد الكريم الحوراني. (2008). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- قيس النوري. (2011). الانثروبولوجيا الحضارية بين التقليد والعولمة. الاردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.
- محبوب محمد عبده. (1985). انثروبولوجيا الزواج والاسرة والقرباة. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

• المقالات:

- إبراهيم يحياوي. (2024). مخاطر وأسباب هشاشة تفكك الروابط الاجتماعية للعائلة الجزائرية. مجلة سوسيولوجيون، المجلد 05، العدد 02، الصفحات 127-140.
- ادريس الغزواني. (2020). مانويل كاستلز ومفهوم مجتمع الشبكات من المجتمع الى الشبكة: نحو مقارنة تاويلية للهوية والسلطة في عصر المعلومات. مجلة عمران، المجلد 09، العدد 33، الصفحات 143-162.
- حسني إبراهيم عبد العظيم. (2011). الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي - قراءة في سوسيولوجية بيير بورديو -. مجلة إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 15، الصفحات 55-77.
- دعاء نجيب. (2023). النظرية التفاعلية الرمزية. الاردن: مركز قاف للدراسات.
- سكينة جرادي، و نورية سوامية. (2021). دور الفضاء العمومي في تشكيل التواصل الاجتماعي. مجلة الحوار الثقافي، المجلد 10، العدد 02، الصفحات 151-168.
- سليم سهلي، و اسامة بخوش. (2020). الفردانية الشبكية والمجتمعية: جدل الحديث والتقليدي. مجلة بلبوفيليا لدراسة المكتبات والمعلومات، العدد 05، الصفحات 93-103.
- فضيل دليو، و امين جنيح. (ديسمبر، 2020). نموذج خصوصية وسائل التواصل الاجتماعي: الخصوصية والتواصل في ضوء امكانيات وسائل التواصل الاجتماعي. المجلة الجزائرية لبحوث الاعلام والرأي العام، المجلد 03، العدد 02، الصفحات 77-102.